مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (28) العدد (1)2006
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Series Vol. (28) No (1) 2006

الدرس النفسي لأبي نواس ما بين العقاد والنويهي

الدكتور ريم هلال*

(تاريخ الإيداع 31 / 8 / 2006. قبل للنشر في 2006/10/12)

□ الملخّص □

يتطرق هذا البحث لواحد من المناهج العديدة التي طُبِّقَتْ في درس أبي نواس، وهو المنهج النفسي الذي يقوم على الغوص في نفسية الأديب ومحاولة تبيُّن أسرارها ما دامت تشكل جزءاً من النفس الإنسانية التي اهتم بتحليلها علم النفس. وبصورة أكثر تحديداً، تمت ضمن هذا البحث المقارنة ما بين دراستين نفسيتين قد قام بهما كل من العقاد والنويهي، وذلك بناءً على عقدتين اثنتين: أولهما بناءً على عقدة النرجسية التي تقوم على حب الإنسان لذاته، وإيثارها على ذوات الآخرين، والثاني بناء على عقدة أوديب التي تقوم على تعلق الابن بأمه وحب استئثاره بها. وقد حاول كل من الناقدين أن يتتبع العقدة التي اكتشفها فيما تعدد من الميادين التي طرقها الشاعر، كحب الخمرة والحب المثلي وحب المرأة.

كلمات مفتاحية:
أبو نواس نرجسياً وأوديبياً.

* مدرسة – قسم اللغة العربية . كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا.

مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (28) العدد (1)2006
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Series Vol. (28) No (1) 2006

A Psychological Study of ABU NAWAS between AL-AQ'QAD and AN-NUWAIHI

Dr. Reem Hilal*

(Received 31 / 8 / 2006. Accepted 12/10/2006)

□ ABSTRACT □

This research deals with one of several methods which were applied in studying Abu Nuwas as a poet. It is a psychological method that depends on probing the psychological side of a literary man in an attempt to disclose its hidden aspects since, it forms a part of human soul in which psychology has interested. In more definite words, this research compares between two psychological studies that were done by each of Al-Aq'qad and An-Nuwaihi on the basis of two complexes. The first is based on the complex of Narcissism based on the love of a man to his self in preference to selves of others; while the second is based on Oedipus complex, which is based on a son's attachment to his mother and his love to possess her.

Each of both critics attempted to trace up the complex which he had discovered in the several domains the poet dealt with; such as his passion for wine, homosexuality and, love of women.

Keywords: ABU NAWWAS as a Narcissist and Oedipal.

*** Assistant Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

إذا كان القرن التاسع عشر في العالم الغربي قد تميَّز بدخول النظريات العلمية مجال البحث الأدبي، فقد تميَّز القرن العشرون بدخول العلوم الإنسانية كعلم الأنتروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس، وما أدى إليه هذا من تشكُّل المناهج العديدة في النقد الغربي: الأنتروبولوجي والاجتماعي والنفسي... وحين بدا نقدنا العربي الحديث معتمداً بصورة ملحوظة على النقد الغربي، مقتبِساً واحداً تلو الآخر من مناهجه، فقد كان بديهياً أن يقتبس منه نقادنا أيضاً المنهج النفسي، وأن يطبقوه على أدبنا، ليس الحديث منه فحسب، إنما كذلك الأدب القديم، لِما يمكن أن يكون قد تشكَّل لدى النقاد من فضول لسبر نفوس مبدعيه بكل ما تنطوي عليه، وإثبات تلاقيها مع نفوس مبدعي الأدب الحديث، ومن ثم إثبات وحدة النفس الإنسانية بين البشر، مهما تباينت العصور والبيئات.

وقد كان من بين الشعراء العرب القدامى الذين حظوا بالدرس النفسي أبو نواس الذي تناوله كل من العقاد والنويهي بناءً على عقدتين متمايزتين، قد أُدرِجَ ذكرهما ضمن علم النفس: الأول بناءً على عقدة النرجسية، والثاني على عقدة أوديب. وعلى الرغم من أسبقية العقاد زمنياً في دراسة أبي نواس نفسياً، فقد ارتأينا أن نبدأ بدراسة النويهي، نظراً لتمهيده لتطبيق المنهج النفسي على الشاعر بصورة أكثر دقة ووضوحاً، وتشكيل العقدة النفسية التي انطلق منها في تتبُّع شعره التمهيد للعقدة التي انطلق منها العقاد، وذلك كما سيتبين لاحقاً لدى وصولنا إلى دراسة هذا الثاني المذكور، هذا مع الإشارة إلى أنه لا يُفتَرَض بالنويهي أن يكون قد تغافل عن جوهرية العقدة التي اكتشفها لدى الشاعر، وعن ضرورة البحث فيها وتوضيحها بغية التأسيس لبحث الناقد الذي سبقه.

علماً أن النويهي حين طَبَّق المنهج النفسي على أبي نواس، لم يفعل ذلك انطلاقاً من إيمانه بجدوى هذا المنهج في الدراسة الأدبية بصورة عامة، إنما من إيمانه بأن شعر أبي نواس وما ينطوي عليه من خصائص معينة لا يمكن أن يُفهَم وتُسبَر أسراره إلا بناءً عليه [1]. فهو إذا ما وجد ضرورة في دراسة نفسية ابن الرومي في كتابه " ثقافة الناقد الأدبي "، فإنه لم يجد ما يماثلها لدى دراسة " شخصية بشار " التي اكتفى بربطها بظروفها السياسية والاجتماعية والفكرية والجسمية، أو لدى دراسة " الاتجاهات الشعرية في السودان " التي ربطها بما يماثل ظروف بشار، أو لدى دراسة " الشعر الجاهلي " ، أو " قضية الشعر الجديد " [2]. أو بعبارة أخرى: ربما أراد النويهي أن يذهب إلى أن الناقد حين يلتزم في نقده بمنهج معين، لا يحدث ذلك منه بصورة تلقائية غير مدروسة، بقدر ما يحدث بناءً على ما يفرض كل أدب أو كل عمل أدبي ، بحسب الطابع الذي يسمه : النفسي أو الاجتماعي أو الأسطوري. هذا وإن كان من المفترض بالنويهي ألا يسرف في إحجامه عن الدرس النفسي في المواضع التي حددها، أو في سواها، نظراً لِما للظروف الذاتية الفردية من دور رئيسي في تكوين الإبداع الأدبي، مهما كان للظروف الأخرى من حضور وطغيان. ونخص هنا ما يتعلق ببشار الذي كان لا بد لحالته الجسمية من أن تنعكس بعمق على تكوينه النفسي.

إن النويهي . على سبيل المثال . لا يستطيع أن يدرس حب الخمرة لدى أبي نواس كما يدرسه لدى الشعراء الآخرين، لأن هذا الحب قد تحوَّل إلى خلاصة لأساس الشاعر النفسي المعقد، ولأن الخمرة لم تَعُد تشكّل لديه مجرد ذلك الشراب الذي يمنح الشاربين الإحساس بالبهجة والمتعة، بل تحوّلت إلى ذلك الكائن الحي الذي لا يستطيع الانفصال عنه، أو بالأحرى إلى شقيقة الروح التي ذكرها صراحة في بيت له، فمثَلَتْ إذ هي في متناوله البديل والمعوض عن المرأة التي كانت عنه بعيدة المنال: الأم أو الحبيبة [3] :

---

(1) النويهي ، محمد م. نفسية أبي نواس ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ، د – ت ، ص 10 .

(2) النويهي ، محمد. نفسية أبي نواس ، ص 214 – 215 .

(3) النويهي ، محمد. نفسية أبي نواس ، ص 11 – 12 .

عَاذِلِي في المدام غَيْرَ نَصِيحِ لا تَلُمْنِي على شقيقةِ رُوحِي [4]

وبصورة أكثر تفصيلاً منا: الأم التي تشكلت لديه حيالها عقدة أوديب، بفعل تماسِّه معها منذ طفولته دون الأب المفقود، وحُرِّمَتْ عليه بناءً على ما تفرِض الأحكام الدينية والأخلاقية والاجتماعية [5]. هذا بالإضافة إلى انصرافها عن خصِّه بمفرده بالحدب والحنان بعد زواجها الثاني من غير أبيه. أما الحبيبة، فهي التي لم تبادله الحب، ولم تشبع ميله الفطري إلى الأنثى، ربما نفوراً مما علمَتْ من سلوكه الشاذ، أو لِما أُشيع عنها . هي الأخرى . من اتخاذها سلوكاً مماثلاً تجاه الإناث. ولا شك في أن النويهي قد أراد من خلال توضيحه تعويض خمرة أبي نواس عن المرأة أن يُذَكِّر بنظرية " أدلر " التي تقوم في أساسها على محاولة الإنسان من خلال ما يتخذ أحياناً من سلوك متميز خاص به أن يعوض عن مركب النقص الذي ربما يشعر بوجوده لديه بصورة واضحة [6] .

علماً أنه توضح للنويهي بصورة مباشرة تمثيل هذه الخمرة لأم أبي نواس ، وحبه لها حباً بَنَوياً من خلال تسميتها الدِّرة التي تعني اللبن ، وتسمية شرب كأسها رضاعة [7] :

تراضعُوا دِرّةَ الصَّهْباءِ بيْنهمُ وأوْجَبُوا لنديم الكأْسِ ما يجبُ [8]

وبإشارة النويهي إلى هاتين الكلمتين، وإلى سواهما من الكلمات والعبارات في الشواهد التي أوردها، يبدو وكأنه يعمل بنظرية " جاك لاكان " القائمة على التحليل النفسي من خلال اللغة التي يستخدمها المحلَّل، وتَتَبُّع مافيها من خصوصية متفرد بها بغية سبر أعماقه، واكتشاف ما فيها من مجاهيل كانت متخفية [9]. إن لغة الرضاعة والدِّرة في البيت السابق لا بد من أن تشكل أمام النويهي دلالة واضحة على عقدة أوديب لدى الشاعر، هذه التي تمثَّلَتْ هنا في تعلقه بأمه إلى حد توقه للعودة معها نحو طفولته الأولى، نحو المرحلة الفمية، واتصاله بها ثانية كما لو أنه رضيع ، وما استتبع هذا كله من خلع رغبته المحرمة على شربه للخمرة التي رأى فيها صورة معوضة عن أمه لما حققَتْ له من إرواء .

كما تجلى للنويهي في موضع آخر تمثيل خمرة أبي نواس للمرأة بصورتها العامة الشاملة لذينك الشطرين، حين وصف الشاعر عطفه عليها وتدلهه بها وعدم تمكنه من فصل وجوده عن وجودها [10]. علماً أنه كان بإمكان الناقد أن يتبين ذلك كله مكثفاً في كلمة " هوىً " التي برهنت بصورة واضحة كما عبارة " شقيقة الروح " على العلاقة الخاصة

---

(4) أبو نواس ، الحسن بن هانئ ح هـ. الديوان، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د–ت ، ص 24 .

(5) فرويد ، سيجموند س. سيكولوجيا الشذوذ النفسي عند الجنسين ، ترجمة فؤاد ناصر ، الطبعة الأولى ، منشورات حمد ، بيروت ، 1959 ، ص 61 .

(6) الحفني، عبد المنعم ع. موسوعة الطب النفسي . الكتاب الجامع في الاضطرابات النفسية وطرق علاجها نفسياً ، المجلد الأول، الطبعة الثانية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995 ، ص 34 – 37 .

(7) النويهي، محمد. نفسية أبي نواس ، ص 52 .

(8) أبو نواس. الديوان ، ص 192. تراضعوا : اشترك الندمان في الرضاعة – الدِّرة : اللبن الكثير – الصهباء الخمرة .

(9) مجموعة من المؤلفين. جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي ، إعداد وترجمة عبد المقصود عبد الكريم ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 1999 ، ص 22 – 23 .

(10) النويهي ، محمد. *نفسية أبي نواس* ، ص 12 – 13 .

التي تربط الشاعر بالخمرة كما لو أنها امرأة حقيقية، ولا سيما حين أثبَتَ تركيزه على هذه الكلمة من خلال تكرارها مرتين في البيتين الأخيرين، وتنويعه في صيغتيهما ما بين التعريف النّامّ على خصوصية تجربته العاطفية، والتنكير النّامّ على الحب العاطفي بصورة مطلقة غير محددة، وذلك بحسب ما أورد الجرجاني بشأن الدلالة البلاغية لكل من التعريف والتنكير [11] :

تلكَ . لا أعْدَمنيهَا اللّـهُ . أنْسِي ، عِدْلُ روحي
يجْنَحُ القلبُ إليـها في الهـوى أيَّ جُنوحِ
عطفتْ نفْسِي عليها بهوى غيْرِ نَـزُوحِ [12]

وإلى جانب ما سبق، تبيَّن للنويهي أن خمرة أبي نواس شكّلَتْ السرّ الذي يمدُّه بالحياة بأكملها، ويضيف إلى روحه روحاً جديدة [13] :

قـهْوَةً تُقْرِنُ في جِسْ مكَ معْ رُوحِك رُوحَا [14]

لكن الناقد اكتفى من هذا بأن استخلص الدافع الذي حدا بالسُّذَّج إلى تقديس الخمرة ، وتأليهها في بدايات الحياة البشرية ، دون أن يمتد إلى استخلاص ما يمكن أن تكون قد لبَّتْ للشاعر لدى إمداده بالحياة والروح هاتين من غريزة البقاء التي اهتمّ بإيرادها علم النفس ، والتي تأصّلَتْ لدى كل إنسان بصورة عامة ، ولدى أبي نواس وأمثاله الذين اتخذوا مذهب الإقبال على الدنيا وملذاتها بصورة خاصة [15] .

وربما تأكيداً لعثور أبي نواس في الخمرة على ما يعوضه عن المرأة، ويمده بالحياة، فقد تبين للنويهي دون سواه من الدارسين مدى تشكيلها بالنسبة إلى الشاعر ذلك المثار لرغبته الجنسية التي لا شك في أن النويهي قد استحضر مدى تكثيفها في حقيقتها لذينك الأمرين: الإقبال الشهوي على الطرف الآخر من جانب، والتوق من خلاله إلى استمرار الحياة من جانب آخر، لِما يحقق من تجديد النسل. وقد توضّحَتْ للنويهي هذه الرغبة بصورة مباشرة من خلال إيراد الشاعر ما تعدَّدَ من الألفاظ والعبارات الدالة عليها: العذراء والبكر والفتاة... وبصورة غير مباشرة من خلال ما ذهب إليه علم النفس من عدم انحصار هذه الرغبة ما بين الذكر والأنثى، أو ما بين المثلين، إنما امتدادها في حال عدم تسنِّي مثل هذه العلاقة الطبيعية لتشمل الإحساس الجنسي حتى تجاه الأشياء التي لا حياة فيها كخمرة أبي نواس [16]. ولا بد لنا هنا بصورة خاصة من أن نستحضر نظرية " فرويد " الأساسية التي يذهب فيها دائماً إلى تشكيل الرغبة الجنسية الليبيدية الناشطة أبداً في لا شعور الإنسان، المنطَلَق الرئيسي لسلوكه على مختلف الأصعدة، حتى ما يتعلق منها بطعامه وشرابه، وبصورة محددة هنا بشرب أبي نواس للخمرة[17]:

---

(11) الجرجاني ، عبد القاهر ع. *دلائل الإعجاز* ، دار المعرفة ، بيروت ، 1981 ، ص 136 – 138 .

(12) أبو نواس. *الديوان* ، ص 695 .

(13) النويهي ، محمد. *نفسية أبي نواس* ، ص 35 .

(14) أبو نواس. *الديوان* ، ص 684. القهوة : الخمرة ، سُميت بذلك لأنها تقهي العقل – تقرن : تجمع وتصل .

(15) الحفني ، عبد المنعم. *موسوعة الطب النفسي* ، المجلد الأول ، ص 566 .

(16) النويهي ، محمد. *نفسية أبي نواس* ، ص 44 – 47 .

(17) الحفني ، عبد المنعم ع. *موسوعة الطب النفسي . الكتاب الجامع في الاضطرابات النفسية وطرق علاجها نفسياً* ، المجلد الثاني ، الطبعة الثانية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1999 ، ص 355 – 356 .

ومرَّ ذَا فَرَحٍ ، يَسْعَى بِمِسْرَجَةٍ فَاسْتَلَّ عَذْرَاءَ لم تبرُزْ لأزْواجِ [18]

زُرْتُها خاطباً ؛ فزُوِّجْتُ بِكْراً فَفَضَضْتُ الختامَ غير مُليمِ [19]

عن فتاةٍ كأنـها حين تبدو طلْعَةُ الشَّمْس في سواد الغُيومِ[20]

ومثلما كان لأم أبي نواس دورها في إقباله الخاص على الخمرة معوضاً بها عن الحنان المفقود، كذلك تبيَّن للنويهي دورها في شذوذه الجنسي ، وإقباله على الذكور دون الإناث اللائي وجد في كل منهن صورة لأمه الخائنة التي دلَّت بزواجها الثاني على تخليها عن ابنها ، وإيثارها عليه رجلاً آخر. وبذلك يقول معبراً عن تخوفه من غدر جارية بالرغم من حبه لها ، وتوقه إلى مواصلتها [21] :

إنِّي لأَهْوَاكِ ، وإنـي جَبَانْ أَفْرَقُ من عِلْمِي بغدْرِ القِيَانْ [22]

ويقول بالمقابل معبراً عن حبه للغلمان ، وعن إمكان توجُّه المرقّش إلى ذلك فيما لو أتيح له [23] :

لَـوَ انَّ مرقَّشاً حـيٌّ تعلَّقَ قلْبُـه ذكـرَا [24]

ولعل في قصة أبي نواس مع شذوذه ما يذكِّر بقصة " ليوناردو دا فنشي " ، فهذا الثاني . هو الآخر . اتجه تلقائياً إلى الحب المثلي بفعل ما أدى إليه انفراده بأمه دون أبيه ، لكونه ابناً غير شرعي ، من عدم تمكنه من إقامة علاقات حب نسائية مستوية وسليمة [25]. هذا وإن كان لا بد من أن نلحظ فارقاً ما بين منطلق كل من المبدعَيْن، فإذا ما كان أبو نواس قد توصَّل إلى هذا النوع من الحب بدءاً من سلبيته تجاه أمه كما تبين، وردها على حب استئثاره بها بالخيانة، فقد توصَّل إليه دافنشي بدءاً من إيجابيته تجاه أمه هو، وتوقفه في علاقته معها عند حد تعلُّقه بها، واستجابته لطغيان حضورها عليه.

لكن تجدر الإشارة، إلى أنه إذا ما كان على النويهي أن يركز . بحسب ما يقتضي سياق البحث . على هذا العامل النفسي في شذوذ أبي نواس، فإنه لم يجد بداً من التطرق لعاملين آخرين لا يقلان شأناً: يتحدد أحدهما في التواء الشاعر الجسدي الذي جعله أقرب إلى الأنثى [26] ، وثانيهما في طبيعة العصر العباسي الذي أتاح بانفتاحه على الحضارات مثل ذلك [27] . الأمر الذي جعل الناقد يقتدي بهذا الصدد بالدارسين الآخرين الذين لا يزالون يحارون أمام هذه الظاهرة، ويجدون في أساسها المعقَّد ما ينطوي على العديد من الاحتمالات [28] .

---

(18) أبو نواس. *الديوان* ، ص 48 .

(19) أبو نواس. *الديوان* ، ص 175 .

(20) أبو نواس. *الديوان* ، ص 175 .

(21) النويهي ، محمد. *نفسية أبي نواس* ، ص 79 – 82 .

(22) أبو نواس. *الديوان* ، ص 311 .

(23) النويهي ، محمد. *نفسية أبي نواس* ، ص 55 .

(24) أبو نواس. *الديوان* ، ص 559 .

(25) سويف ، مصطفى م. *الأسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة* ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ، ص 79 .

(26) النويهي ، محمد. نفسية أبي نواس ، ص 77 – 78 .

(27) النويهي ، محمد. *نفسية أبي نواس* ، ص 87 – 91 .

(28) الحفني ، عبد المنعم. *موسوعة الطب النفسي* ، المجلد الأول ، ص 469 – 471 .

بل إنه إذا ما تبيَّن للنويهي دور الأم في شذوذ أبي نواس، وتفضيله الذكور على الإناث ، كذلك تبين له بالمقابل دورها في حبه المخلص المتميز للجارية " جنان " التي وجد فيها مثال التعفف والطهر الأنثوي المفقودين لدى الأم ، أو بالأحرى التي كانت تحمله إرضاءً لها على الحذر والتوجس من استمراره في اتخاذ سلوكه الماجن [29] :

لَوْلا حِذَاريَ مِنْ جِنَانِ لَخَلَعْتُ عَنْ رأْسِي عنَاني

وركبْتُ مَا أهْوَى وكمْ أجْفُو مقَالَة مَنْ نَهَاني [30]

وهكذا فإنه من خلال هذا الحب الذي يبدو صادقاً لجنان ، يُفتَرَض بالنويهي أن يكون قد استنتج احتمالين اثنين : يتمثل أحدهما في عدم تأصُّل الشذوذ الجنسي لدى الشاعر بصورة معمقة ، إنما توجهه الفطري إلى الأنثى ، حين أتاحت له الظروف ذلك ، وجعلته يلتقي من تستحق إخلاصه دون سواها من الإناث والذكور. ويتمثل الآخر في إمكان جمع الشاعر في نفسه وشعره ما بين ميله إلى الذكر وميله إلى الأنثى في آن واحد ، كما يذهب علم النفس بشأن بعض الشاذين [31] .

* * *

ومقابل انطلاق النويهي لدى دراسته نفسية أبي نواس من عقدة أوديب التي تعني تعلُّق الابن بأمه ، انطلق العقاد لدى دراسته الشاعر ذاته . وفق المنهج ذاته . من عقدة أخرى هي النرجسية التي تعني عشق الإنسان لذاته الفردية دون سواها [32]. هذا وإن كنا لا نجد تباعداً ما بين العقدتين ، بل قدراً من الترابط شبه وثيق، وذلك ضمن علم النفس ، لأنه حين يتم التعلق بالأم ، لا يكون ذلك إلا بفعل ما يفرض التعلق بالذات ، نظراً لتشكيل الأم هذه الذات الأصلية التي يتأتى منها الابن [33] ، والتي . كما يتبين لنا من جانب آخر . تُحَقِّق بأنوثتها المكمل الأول لذكورته. وكذلك الأمر لدى تجربة أبي نواس الخاصة ، وإن تحقَّقَ فيها هذا الترابط بصورة معكوسة ، قائمة على تشكيل عقدة أوديب لديه أساس نرجسيته ، وذلك بصورة إيجابية في البداية ، متمثلة فيما أدى إليه حب أمه وتدليلها له بعد طلاقها من أبيه من تأثره به محباً . هو الآخر . لنفسه [34]. ثم بصورة سلبية متمثلة فيما أدى إليه انصرافها عنه، وتحويل بيتها إلى مبغىً، ثم بزواجها الثاني من ردة فعل عنيفة جعلته ينكفئ على ذاته هذه مشفقاً عليها من إهمال أمه.

وقد تجلت للعقاد نرجسية أبي نواس بدءاً من السلوك الإباحي الذي اتخذه، والذي إذا ما نمَّ لدى الشعراء الآخرين على عدم المبالاة بذواتهم حين إظهارها للناس وفق أي درجة من التهتك، فإنه نمَّ لدى أبي نواس حين إظهار ذاته هكذا على محاولته التركيز عليها، وتحقيق حضورها وإن بهذه الطريقة غير المرضية [35] :

---

(29) النويهي ، محمد. *نفسية أبي نواس* ، ص 83 .

(30) أبو نواس. *الديوان* ، ص 289 .

(31) الحفني ، عبد المنعم. *موسوعة الطب النفسي* ، المجلد الأول ، ص 467 .

(32) الحفني ، عبد المنعم. *موسوعة الطب النفسي* ، المجلد الثاني ، ص 576 – 577 .

(33) مجموعة من المؤلفين. *النرجسية . حب الذات* ، ترجمة وجيه أسعد ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، 1989 ، ص 9 .

(34) مجموعة من المؤلفين. النرجسية ، ص 10 .

(35) العقاد ، عباس محمود ع م. *أبو نواس . الحسن بن هانئ . دراسة في التحليل النفساني والنقد التاريخي* ، مطبعة الرسالة ، د – ت ، ص 29 – 31 .

ألا فاسْقني خمراً، وقلْ لِي هيَ الخمرُ ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهرُ [36]

هذا وإن كنا لا نعدم النرجسية في حال دلالة الإباحية لدى أولئك الشعراء الآخرين على عدم مبالاتهم بذواتهم، لأنهم يعبِّرون بذلك أيضاً عن عدم مبالاتهم بسواهم الذين تظهر أمامهم هذه الذوات ، أو يعبِّرون عن ذلك الشطر من النرجسية التي تعني مقابل عشق الذات إهمال من هم خارجها. وبناءً على ذلك، لا ينبغي أن نتغافل أيضاً عما يمكن أن يكون قد حقق الشطر الأخير المذكور من استكمال لنرجسية الإباحية لدى أبي نواس، وذلك حين بدا مقابل حرصه على إبراز ذاته غير حريص على مشاعر من يتلقون عنه صورة هذه الذات.

وهكذا فإن أبا نواس حين يشرب الخمرة، لم يفعل ذلك . وفق منظور العقاد . بهدف تحقيق التلذذ لذاته، إنما بهدف المجاهرة بسلوكه أمام الآخرين، ومن ثم إثبات مخالفته لهم ، ومن ثم إبراز ذاته وتمييزها على حساب ذواتهم ، وإن انطوى هذا كله على الحرام ، بل إن الحرام هنا هو المطلوب لدى الشاعر ما دام سيوصله هو ذاته بلفت الأنظار تجاهه إلى مبتغاه [37] :

وإن قالوا ((حرام؟)) قل ((حرامٌ!)) ولكنَّ اللّذاذةَ في الحرامِ [38]

علماً أنه ما كان يُفتَرَض بالعقاد أن يستبعد ما يمكن أن تكون قد أملت نرجسية الشاعر من ذلك التلذذ بشرب الخمرة، نظراً لِما يمكن أن يكون قد حقَّقَ له من تلبية لذاته الفردية، وإرواء حاجاتها، وإن بدت التلبية هنا مقتصرة في تحققها أمام صاحب هذه الذات على نقيض المجاهرة التي تلبي هذه الذات أمام صاحبها وأمام الآخرين، وتحقق نرجسيتها بصورة أعلى وأكثر اتساعاً.

كما أنه ضمن ما تفرع من سلوك أبي نواس الإباحي، تجلت للعقاد تلك النرجسية أيضاً من خلال شذوذ الشاعر الجنسي الذي فسَّره علم النفس بهذا الصدد، أي بصدد النرجسية، بأنه تعلُّق الإنسان الذي يعشق ذاته بمن ينتمي إلى جنسه تحديداً ، نظراً لما يرى فيه من متلبِّس لهذه الذات ، أو ما يشبهها [39] ، وذلك على نقيض من يتحرر من الطور النرجسي بعد عبوره مرحلة الطفولة ، وينعتق في سن الرشد من تعلقه بذاته نحو من ينتمي إلى الجنس الآخر [40]. أو بعبارة أخرى نستطيع القول : إن الشاذ بعثوره على من يتعلَّق به من ابن جنسه ، ربما يكون قد عثر على من مثَّل له مرآة " نرسيس " الأسطورية التي عكست أمامه ذاته فهام بها [41]. أو ربما عثر على من عوضه عن هذه الذات التي طالما اشتهاها ، ولم يجد من سبيل لتلبية رغباته تجاهها ، وإن شكلت ملكاً شخصياً له.

وقد استدل العقاد على ما ذهب إليه بشأن النرجسية في شذوذ الشاعر ، من خلال تعلقه بغلام يماثله في اللثغة ، وإن كانا يتباينان فيها ما بين حرفي السين والراء [42] :

وَابأَبِي أَلْثَغَ لاجَجتُهُ فقال في غُنْجٍ وإخْناثِ
لمَّا رأَى مِنِّي خِلافِي لَه : كمْ لَقِيَ النَّاثُ من النَّاثِ [43]

---

(36) أبو نواس. *الديوان* ، ص 28 .
(37) العقاد ، عباس محمود. *أبو نواس* ، ص 46 .
(38) أبو نواس. *الديوان* ، ص 693 .
(39) العقاد ، عباس محمود. *أبو نواس* ، ص 42. ومجموعة من المؤلفين. *النرجسية* ، ص 15 .
(40) الحفني ، عبد المنعم. موسوعة الطب النفسي ، المجلد الثاني ، ص 576 .
(41) الحفني ، عبد المنعم. *موسوعة الطب النفسي* ، المجلد الثاني ، ص 576 .
(42) العقاد ، عباس محمود. *أبو نواس* ، ص 43 .
(43) أبو نواس. *الديوان* ، ص 25 .

وكذلك من خلال تعلقه بغلام يماثله في بحة الصوت [44] :

فبِهِ غُنَّةُ الصِّبَا ، تغْتَلِيهَا بُحَّـةُ الاحْتلامِ للتَّشْرِيفِ [45]

وإذا ما أظهر أبو نواس أيضاً ميله إلى الجواري كما إلى الغلمان ، لم يكن ذلك . وفق منظور العقاد . إلا بفعل ما فرضت النرجسية من توق الشاعر لاستكمال تلبيس ذاته للنساء كما للرجال ، نظراً لِما يمكن أن يكون قد أدرك من انطواء هذه الذات على الأنوثة كما على الذكورة ، وما يعني جمعه ما بين هذين الميلين من جمعه ما بين تلبية الفطرة من جهة ، والشذوذ من جهة أخرى [46]. هذا وإن كنا نرجح مع العقاد ما أوحى به من غلبة شذوذ الشاعر ، حتى على ميله إلى الجواري ، وذلك حين لم يعلق منهن إلا من لديها حالة خاصة ، حرية بأن تجعلها تتماثل مع ذاته وتلتقيها ، بدلاً من أن تتباين عنها وتستكملها. فهو . على سبيل المثال . لم يَمِل إلى الجارية " جنان " ، إلا بناءً على غلبة ميلها إلى بنات جنسها كما أوردت أخبار ابن منظور ، وما عنى هذا من تماثلها معه في الشذوذ [47]. كما لم يَمِل إلى الجارية " حُسْن " إلا بناء على ما عنى اسمها من توحد فيما بينهما [48] ، وإن لم يفصِّل العقاد في معالم هذا التوحد ، ويوضح ما إذا كان يتحدد في إمكان إطلاق هذا الاسم على الذكور والإناث معاً ، أو في دلالته على الجمال الذي ذُكِر أنه شكّل إحدى صفات الشاعر .

وبعد ، فعلى الرغم من تحقق النرجسية لدى أبي نواس وفق هذه الصورة الواضحة المتميزة ، فإننا نستطيع أن نذهب إلى ما ذهب إليه " لاكان " ، وذلك من حيث انتقاده الإفراط في دراسة هذه العقدة ، أو التي أطلَق عليها مرحلة " المرآة " [49] ، لأنه إذا كان لا بد من التسليم بوجودها في الحياة البشرية عامة ، فليس ضرورياً أن تكون على درجة واحدة لدى الأفراد جميعاً ، بل لا بد من تفاوتها فيما بينهم قوةً وضعفاً ، بحسب الظروف النفسية والخارجية التي تخص كلاً منهم. ومن ثم فإن أبا نواس ، إذا ما كان نرجسياً بصورة بارزة ، فلا يعني هذا بالضرورة تماثل الشعراء الآخرين معه ، المعاصرين له أو غير المعاصرين ، ما داموا لم يماثلوه في جوانب حياته الخاصة .

* * *

وهكذا، فإنه إذا ما قدَّم الناقدان السابقان دراستين متباينتين حول أبي نواس ، بدءاً من تباين العقدتين النفسيتين اللتين انطلق كل ناقد من إحداهما ، فلا يُفتَرَض بالنتائج التي توصَّل كل منهما إليها أن تقتصر . هي الأخرى . على التباين ، وإن بدا هذا أمراً تلقائي الحدوث ، بل ربما تدخلان إطار التكامل ، بناءً على حمل كل منهما جزءاً من الحقيقة المتعلقة بالشاعر ، أو إطار الاحتمالين الاثنين اللذين يتفاوتان في درجة وضوحهما ما بين متلقٍّ وآخر ، وما يعني هذا كله من تشكيل الدراستين المذكورتين من تمهيد للمزيد من الدراسات التي من شأنها أن تقدم المزيد من التكاملات ، أو الاحتمالات ، سواء أضِمن المجال النفسي ذاته أم سواه. أو بعبارة أكثر تحديداً ووضوحاً: إن حب الخمرة لدى أبي نواس ، إذا ما شكّل . وفق منظور النويهي . محاولة من الشاعر للتعويض عن حنان الأم الذي فقده ، ووفق منظور العقاد محاولة من الشاعر للتباهي وإثبات الذات ، فإن هاتين النتيجتين ليس ضرورياً أن تظهرا متناقضتين متباعدتين

---

(44) العقاد ، عباس محمود. *أبو نواس* ، ص 43 .

(45) أبو نواس. *الديوان* ، ص 720 .

(46) العقاد ، عباس محمود. *أبو نواس* ، ص 44 – 45. وداكو بيير ب. *انتصارات التحليل النفسي* ، ترجمة وجيه أسعد ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1983 ، ص 349 – 361.

(47) العقاد ، عباس محمود. *أبو نواس* ، ص 45 .

(48) العقاد ، عباس محمود. *أبو نواس* ، ص 45 .

(49) مجموعة من المؤلفين. جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي ، ص 21 .

مندرجتين ضمن مقولة : إما هذه وإما تلك ، إنما ربما ضِمن هذه وتلك معاً ، أو ربما ضِمن هذه بنسبة معينة وتلك بنسبة معينة يحددها كل متلقٍّ ، أو كل باحث بمفرده وفقاً لما يرى .

أما بالنسبة إلى الذين يتفاوتون في درجات تقبلهم لتطبيق المنهج النفسي بصورة عامة ، ولا سيما على الأدب القديم ، فلا يمكن الإدلاء إلا بأن هذا المنهج . وبغضّ النظر عن مدى رجاحته ومنطقيته . لا يُهدَف من خلاله في النهاية . شأنه شأن أي منهج آخر . إلا إلى سبر واحد من أسرار الأدب ، واحد من حقائقه التي ستبقى بحاجة إلى مثل ذلك ، بناءً على إغتناء العالم الأدبي بها ، وتفاوتها ضمنه في درجات وضوحها .

المراجع:

1- أبو نواس، الحسن بن هانئ ح هـ. ***الديوان***، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د . ت.

2- الجرجاني، عبد القاهر ع. ***دلائل الإعجاز***، دار المعرفة، بيروت، 1981.

3- الحفني، عبد المنعم ع. ***موسوعة الطب النفسي . الكتاب الجامع في الاضطرابات النفسية وطرق علاجها نفسياً***، المجلد الأول، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995.

4- الحفني، عبد المنعم ع. ***موسوعة الطب النفسي . الكتاب الجامع في الاضطرابات النفسية وطرق علاجها نفسياً***، المجلد الثاني، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999 .

5- داكو، بيير ب. ***انتصارات التحليل النفسي***، ترجمة وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1983.

6- سويف، مصطفى م. ***الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة***، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، د . ت .

7- العقاد، عباس محمود ع م. ***أبو نواس . الحسن بن هانئ . دراسة في التحليل النفساني والنقد التاريخي***، مطبعة الرسالة، د . ت.

8- فرويد، سيجموند س. ***سيكولوجيا الشذوذ النفسي عند الجنسين***، ترجمة فؤاد ناصر، الطبعة الأولى، منشورات حمد، بيروت، 1959.

9- مجموعة من المؤلفين. ***جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي***، إعداد وترجمة عبد المقصود عبد الكريم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999.

10- مجموعة من المؤلفين. ***النرجسية . حب الذات***، ترجمة وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1989.

11- النويهي، محمد م. ***نفسية أبي نواس***، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، د . ت.